جدلية الحضور والغياب في قصيدة «أطل غيابك» للشاعر الليبي محمد المِزْوِغي

دراسة تحليلية نقدية

■ د. ميلود مصطفى عاشور*

● تاريخ استلام البحث 2025/09/15م ● تاريخ قبول 2025/12/23م

■ **المستخلص:**

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن آليات البناء الفني والدلالي التي استعان بها الشاعر الليبي محمد المزوغي للتعبير عن جدلية الحضور والغياب، في قصيدته المسماة «أطل غيابك»، وقد اعتمد الباحث المنهج التحليلي الأسلوبي، في ضوء مقاربات الشعرية الحديثة من خلال تفكيك البنى اللغوية والدلالية للنص، وربط التأويل بالآليات النصية التي أنتجته، عبر الانزياح الدلالي والبناء الرمزي، وغيرهما، وتوصلت الدراسة إلى أن المزوغي استثمر الرمز والانزياح الدلالي في مستوييه التركيبي والصوري لإثراء لغة النص الشعرية، مما جعل النص ينفتح على التأويل. كما أن الشاعر لم يتعامل مع الغياب كمجرد حالة مادية، بل جسده كياناً فاعلاً في وعي الذات، مما منحه بعدًا وجوديًا وشعوريًا عميقًا. وبذلك فإن قصيدة «أطل غيابك» تقدّم نموذجًا شعريًا مغايرًا في تمثيل الغياب، يقوم على تحويل الصمت والاقتصاد في العتاب إلى آليات دلالية منتجة، تفتح أفقًا تأويليًا يتجاوز حدود التجربة الفردية نحو أفق إنساني وقيمي أوسع. وتسهم نتائج هذه الدراسة في إثراء الدراسات الأسلوبية المعاصرة، من خلال إبراز قدرة المقاربة الأسلوبية على الكشف عن الأبعاد الفلسفية والأخلاقية الكامنة في البنية اللغوية للنص الشعري، وأوصى الباحث في ختامها بمزيد من الدراسات النقدية الموسعة حول تجربة المزوغي الإبداعية.

● **الكلمات المفتاحية:** المزوغي، الشعر، الانزياح، الرمز، الحضور، الغياب.

*أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية - كلية اللغات بجـ E-maiI :mmashur@elmergib.edu.ly

■ **abstract:**

This study investigates the artistic and semantic mechanisms employed by the Libyan poet Mohamed al-Mazoughi to articulate the dialectic of presence and absence in his poem, "Atil Ghiyabak" (Prolong Your Absence). Adopting a stylistic-analytical approach within the framework of modern poetics, the research deconstructs the text's linguistic and semiotic structures to bridge the gap between interpretation and the textual mechanics of meaning production—specifically through semantic displacement (deviation) and symbolic construction. The study posits that the poet transcends the material and emotional depiction of absence, transmuting it into an active existential entity within the self-consciousness. Findings reveal that al-Mazoughi strategically utilizes "silence" and "linguistic economy" as productive semantic tools that redefine presence as a value-based condition rather than a mere physical occurrence. Ultimately, the poem emerges as a distinctive creative model that harmonizes stylistic performance with a profound moral and philosophical vision, transitioning the presence/absence dialectic from a sentimental sphere to an ethical and ontological horizon.

• **keywords**: al-Mazoughi, Modern Poetics, Symbolic Construction, Presence and Absence.

■ أولا: الإطار النظري

• تمهيد

يُمثل النقد الأدبي الحديث تحولًا جذريًا في فهم الخطاب الشعري، حيث تجاوزت الشعرية حدودها التقليدية التي كانت ترتكز على الوزن والقافية، لتصبح علماً يدرس خصائص الخطاب الشعري وآليات إنتاج المعنى وجماله، بهدف الكشف عن «أدبية» النص. وفي هذا السياق، تبرز قصيدة «أطل غيابك»[1] للشاعر الليبي محمد المزوغي كأنموذج لدراسة مظاهر الشعرية الحديثة، لما تحمله من تراكيب فنية، دلالات عميقة؛ إذ تطرح القصيدة جدليةً فلسفيةً حول مفهومي الحضور والغياب، وهذه الجدلية لا تظهر عبر سرد مباشرٍ، بل من خلال تقنيات اللغة الشعرية كالانزياح والرمز. حيث وظفهما الشاعر ليجسد جدلية المتضادين (الحضور/ الغياب).

■ مشكلة الدراسة

على الرغم من أن الشاعر محمد المزوغي يمثل أنموذجًا للشاعر المعاصر الذي يسير بالشعر نحو مرتبة متفردة، إلا أن جُلَّ نصوصه، لم تحظ بالدراسة النقدية الكافية التي تكشف عن خصائصها الفنية الدقيقة، وجمالياتها الإبداعية العميقة؛ لذا فإن هذا التميز الإبداعي في شعره يضعنا أمام إشكالية نقدية تتمثل في كيفية مقاربة هذا النص الشعري «أطل غيابك» الذي يجمع بين أصالة التجربة وفرادتها، وبين استخدام آليات الشعرية الحديثة من انزياح دلالي وبناء رمزي. ومن هنا تنطلق هذه الدراسة من إشكالية نقدية تتمثل في التساؤل عن الكيفية التي أعاد بها المزوغي تشكيل ثنائية الحضور والغياب في قصيدته، بحيث لم تعد مجرد ثنائية شعورية أو وجودية مألوفة في الخطاب الشعري، بل تحولت – عبر الانزياح الدلالي والبناء الرمزي – إلى بنية أخلاقية تقِيم مفاضلة واعية بين حضورٍ زائف وغيابٍ كاشف، وتعيد تعريف معنى الحضور ذاته بوصفه قيمة لا حالة مادية، بأسلوب يتجاوز الوصف المباشر إلى التشكيل الفني البديع. ولمقاربة هذه الإشكالية، تستند الدراسة إلى مفاهيم الشعرية الحديثة، ولا سيما مفهوم الانزياح بوصفه آلية لتفجير الدلالة وكسر المعنى المألوف، والبناء الرمزي باعتبارها أدوات لإنتاج المعنى الشعري، إذ تسمح هذه الآليات بتجاوز القراءة التفسيرية للغياب، والنفاذ إلى مستوياته القيمية والأخلاقية داخل البنية النصية.

■ أسئلة الدراسة:

1. ما هي أبرز آليات الشعرية الحديثة التي يمكن رصدها في قصيدة "أطل غيابك"؟
2. كيف وظف الشاعر الانزياح للعدول عن الأنماط التعبيرية المألوفة، لإنتاج دلالات جديدة وعميقة؟
3. كيف أسهم الرمز في بناء دلالة النص وتأويلاته التي تشكل جدلية الحضور والغياب؟

■ أهداف الدراسة:

1. تحليل وتفكيك بنية القصيدة للكشف عن آليات الشعرية الحديثة المستخدمة فيها.
2. الكشف عن الدلالات الخفية التي تنشأ من الانزياح الدلالي في النص.
3. تفسير الرموز التي اعتمدها الشاعر، وعلاقتها بجدلية الحضور والغياب.

■ **حدود الدراسة**

تقتصر هذه الدراسة على تحليل قصيدة «أطل غيابك» للشاعر محمد المزوغي، بوصفها أنموذجًا دالًا على جدلية الحضور والغياب، دون تعميم النتائج على مجمل تجربته الشعرية، كما تلتزم الدراسة بتحليل البنية اللغوية والرمزية للنص، دون التوسع في المعطيات الخارجية، التزامًا بحدود المنهج المعتمد، مما يجعل نتائجها قراءة تأويلية ملتزمة بالآليات النصية، ولا تنفي انفتاح النص على دلالات أخرى.

■ **منهج الدراسة**:

تعتمد هذه الدراسة المنهج التحليلي الأسلوبي، في ضوء مقاربات الشعرية الحديثة، وذلك من خلال تفكيك البنى اللغوية والدلالية للنص الشعري، وتحليل آليات الانزياح والبناء الرمزي بوصفها أدوات مركزية في إنتاج المعنى. ولا تقف الدراسة عند حدود الوصف أو الانطباع، بل تسعى إلى ربط التأويل بالآليات النصية التي أنتجته، بما يسمح بضبط القراءة وكشف مسارات التأويل استناداً إلى ما ينبثق عن بنى النص من دلالات ومعانٍ.

■ **الدراسات السابقة**

وقف الباحث على عدد قليل من الدراسات حول شعر المزوغي، من أهمها:

- دراسة علاء الدين محمد الأسطى (2017) بعنوان «**حداثة القصيدة العمودية في شعر المْزوغي**»[2]، خلص فيها إلى أن شعر المزوغي غنيٌّ بأدوات التأليف التي تواكب هذا العصر المعاصر وتستشرف الأجيال القادمة لسعة أفق الرؤيا، والتوفيق في الإيحاءات التي تستدعي تأويلاتٍ متعددةٍ.
- دراسة محمد الصادق الخازمي (2017) «**تشخيص الحب في ديوان لا وقت للكره**»[3] خلص فيها إلى أن الشاعر قام بتوظيف التشخيص في خدمة النص، وتقريب المعنى، واعتمده وسيلةً للتأثير في المتلقي.
- دراسة الناقد يونس الفنادي، (2019) «**القيمُ الإنسانية والأبعادُ الوطنية في ديوانِ لاَ**

وَقْتَ لِلْكُرْهِ»[4]. خلص فيها الناقد يونس الفنادي إلى انحياز الشاعر للذات الإنسانية، والمبادئ الخالدة في الحياة.

- دراسة: فاطمة الطيب قزيمة، (2023) «**التصوف العرفاني في قصيدة ألق القميص للشاعر الليبي محمد المزوغي**»[5]، خلصت إلى أن القصيدة مفعمة بشعرية تتواتر فيها الأنساق الصوفية الوجدانية لتنتج دلالات جديدة ارتقت بجمالية النص عبر تكثيف الدلالات، وتوظيف الثنائيات الضدية، والتناص الديني.

إن مراجعة هذه الأدبيات تظهر أن هناك اهتماما متزايداً بشعر المزوغي، لكن جميع تلك الدراسات لم تتطرق إلى دراسة هذه القصيدة بالتحديد، مما يمنح الدراسة الحالية أهمية وأصالة فريدة، وبالأخص فيما يتعلق بربط مفاهيم ودلالات «الانزياح» ودلالات «البناء الرمزي» باعتبارها شكلت معًا فضاء شعرياً إبداعياً متميزاً، عبَّر عن (جدلية الحضور والغياب).

وتأسيساً على هذا التميز الموضوعي، تأتي هذه الدراسة لتنطلق من مقاربة نقدية ترى أن جدلية الحضور والغياب في قصيدة (أطل غيابك) لا تشتغل بوصفها ثيمة وجدانية أو تقابلاً دلالياً تقليدياً، بل آلية أسلوبية وقيمية، يُعاد من خلالها تنظيم العلاقة بين اللغة والأخلاق داخل الخطاب الشعري، وهذا ما تسعى هذه الدراسة إلى كشفه عبر استنطاق الوظيفة الدلالية لآليات النص، ورصد أبعادها الوجودية الكامنة في نسيج هذا النص الشعري.

■ **ثانياً: الجانب التطبيقي**

إن جدلية المتضادين (الحضور/ الغياب) تشير إلى اشتغال النص على مستويات التقابل بين المفاهيم والصور والرموز، فأنتج النص بنية حوارية قائمة على الضدية والمفارقة مما يُفجر طاقات الدلالة؛ لذا فإن هذه الجدلية ليست مجرد جمعٍ لتلك المتضادات بغية المقابلة بينها وحسب، بل هي أداة فنية وجمالية، تكثِّف الدلالات، وتعمِّق المعاني، وتكشف عن رؤى فلسفية ونفسية، تفضي إلى الأثر المرجو من النص.

■ المبحث الأول: تشكيل الغياب بوعي الحضور

من خلال هذه القصيدة يضع الشاعر محمد المزوغي مفهوماً خاصاً للغياب؛ إذ يجسده بحالة شعورية عميقة تتجاوز فهمنا المادي للفقد والغياب، مفهوماً يجعل من الغياب حضورًا فاعلاً في الوعي، فالغياب في القصيدة ليس فراغًا، ولا قيمة صفرية، بل جعله الشاعر كياناً يتفاعل معه في لحظات شعوريةٍ تجسدت في طيات النص الشعري.

وبدءاً من عتبة النص نلحظ أن عنوان القصيدة «أطل غيابك» يتأسس على مفارقة تركيبية ناتجة عن إسناد فعل الأمر إلى مفهوم مجرد (هو الغياب)، وهو ما يُحدث انزياحًا دلاليًا يكسر أفق التوقع، إذ يتحول الغياب من حالة سلبية إلى كائنٍ قادرٍ يستجيب للطلب والإرادة، بما يؤسس منذ العتبة الأولى لتفكيك ثنائية الحضور والغياب بوصفها علاقة قيمية لا زمنية، وهذا الخروج عن المألوف يؤدي دورًا محوريًا في تشكيل بنية النص الكلية وتحديد مسارات النص الدلالية، ثم يؤكد الشاعر وعيه بهذه المفارقة من خلال تعجيله بإعادة تركيب العنوان (أطل غيابك) في مطلع القصيدة، مما يحوّل هذا الانزياح من عنصر مفاجأة إلى مبدأ دلالي حاكم لبنية النص. حيث قال في المطلع:

أَطلْ غيابك

لا لومٌ ولا عتبُ

متى تذكرَ

نايٌ أنه قصبُ.

فهنا تكررت عتبة النص في صدر البيت «أطل غيابك» ليُحمِّل القارئ منذ البداية بشحنة من التساؤل والترقب، ويهيئه لتجربة قرائية غير تقليدية، ثم يقترن الفعل (أطل) بفناء النتيجة المترتبة عنه بقوله: (لا لومٌ ولا عتبُ)، فأحدث هذا التركيب انزياحًا دلاليًا مزدوجًا: انزياحًا في توجيه الخطاب، وانزياحًا في الموقف الشعوري، حيث يُعاد تشكيل العلاقة مع الغياب على أساس القبول بنتيجته لا الاحتجاج أو العتاب والشكوى.

ثم يتعمق هذا الانزياح في الجزء التالي من النص، حيث تتشكل المفارقة الأسلوبية في

الاستعارة (متى تذكّر نايٌ أنه قصبُ) وذلك عبر استدعاء الأصل المادي؛ لأن هذه الاستعارة المبتكرة لا تكتفي بخرق أفق التوقع لدى المتلقي، بل تفتح أمامه فضاءً تأويلياً رحباً، لأنها تُستدعى الأصل المادي (القصب) للآلة الموسيقية (الناي) في - لحظة تذكّر واستحضار- لحظة فلسفية تكشف عن توتر وجودي بين الأصل والصورة، بين المادة الخام والوظيفة الفنية.

وهكذا تتحول إعادة تركيب العتبة في مطلع النص من إجراء شكلي إلى آلية دلالية فاعلة؛ إذ لا يكتفي الشاعر بتكرار صيغة الأمر، بل يحمّلها وظيفة كشفية تُفضي إلى مساءلة معنى الحضور ذاته. فالمطلع ينزاح إلى دلالات جديدة وينحرف عن المسار العاطفي التقليدي -المعهود- القائم على الشكوى والعتاب والحنين، ليؤسس منذ البداية لبنية تأويلية تغري بالبحث عن العلة التي أفرغت الحضور من قيمته، وجعلت الغياب أكثر قدرة على كشف زيف العلاقات ومعاييرها؛ لأن المتلقي يجد نفسه أمام مطلعٍ يتسم بكثافة إسنادية، وإعلامية عالية [6] تُحفز نشاطه التأويلي لفك شفرة الانزياح، الأمر الذي يُحتِّم عليه التعاطي مع النص بوعي وحماس، فيتماهى مع النص، بحثاً عن العلة التي سلبت الحضور قيمته، وجعلته بلا معنىً. وهذا -بالفعل- ما بثه الشاعر في طيات قصيدته، فكلما استرسل المتلقي مع معاني القصيدة ودلالاتها، تجلت له تلك العلة. حيث يقول في البيت الثاني:

ما كنتَ هارونَ لِي حتى أُعاتِبَهُ

ولسْتُ موساكَ

حتى يسْكتِ الغضبُ.

في هذا البيت، يستدعي الشاعر الرمز الديني المتمثل في علاقة موسى بهارون، لا بوصفه إحالة سردية أو تاريخية، بل باعتباره أنموذجًا أعلى لعلاقة تقوم على القرب المطلق والالتزام الأخلاقي. غير أن هذا الاستدعاء لا يهدف إلى إثبات التشابه، بل إلى نفيه، إذ يقوم التركيب كله على نفي مزدوج (ما كنتَ / ولستُ)، مما يفضي إلى إسقاط شروط العتاب والغضب معًا.

وتكمن القيمة الدلالية لهذا الرمز في كونه معيارًا تقاس به العلاقة مع الآخر الغائب؛ إذ يستحضر الشاعر نموذجًا يمثل ذروة الارتباط، ثم يعمد إلى تقويضه لغويًا، بما يكشف

عن انهيار قيمي لا عن مجرد قطيعة وجدانية. وبهذا يتحول الرمز الديني من أداة للتبجيل إلى أداة للمساءلة، ويُوظَّف في خدمة جدلية الحضور والغياب بوصفها علاقة تُبنى على أساس أخلاقي، لا على القرب الشعوري أو روابط الدم والزمان والمكان. ثم يعرض الشاعر علاقة من نوع آخر في البيت الثالث قائلاً:

هل شاغلُ الناسِ

أجْدَتْه مُعاتبةٌ

قد عادَ والشعر مجروحٌ ومكتئبُ.

فيستهل الشاعر البيت باستفهامٍ تقريريٍ ليقدم التأكيد على النتيجة اللاحقة، فاستدعاؤه تجربة المتنبي من خلال هذه الصيغة التقريرية (هل شاغل الناس أجدته معاتبة)، ليس استحضارًا تاريخيًا لتلك العلاقة بعينها، بل باعتبارها أنموذجًا شعريًا يكشف محدودية العتاب في استعادة الحضور. فالتناص هنا لا يعمل على مستوى الإحالة، بل على مستوى النتيجة الدلالية التي آلت إليها تلك التجربة، حيث لم يُفضِ عتاب المتنبي -على قوته البلاغية- إلى رأب الصدع أو استعادة العلاقة.

ويتعزز هذا المعنى من خلال الصورة المجازية (والشعر مجروح ومكتئب)، إذ يُنقل أثر القطيعة من مستوى العلاقة الشخصية إلى مستوى الأداة الإبداعية ذاتها، فيتحول الشعر إلى كائن حي مجروح ومتألم، بما يؤكد أن الغياب لا يخلخل الذات وحدها، بل يصيب اللغة في جوهرها. وبهذا، يُسهم التناص مع المتنبي في ترسيخ منطق القصيدة القائم على نفي جدوى العتاب، وإعادة تعريف الغياب بوصفه موقفًا كاشفًا لا حالة نقص أو فقد مؤقت. ثم يحزم الشاعر أمره، ويحسم قراره حول هذه العلاقة فيقول:

فَاطْوِ المكاتيبَ

لا وقتٌ لَدَيَّ لكي

أزفَّ للنار

ما لا يشتهي اللهبُ.

في هذا البيت، يبلغ مسار العلاقة ذروته الدلالية، إذ يحسم الشاعر موقفه عبر فعل الأمر «فَاطْوِ» ومفعوله -جمع الكثرة- «المكاتيب»، مما يحوّل المكاتيب بكثرتها من وسيط للتواصل إلى علامة على عبثٍ متكررٍ، ومحاولات لا طائل من ورائها؛ فهذه المكاتيب بوصفها حضورًا لغويًا بديلًا عن الحضور المادي، هي الأخرى فقدت وظيفتها، وأُلغى دورها داخل البنية العاطفية للنص.

ثم يتعزز هذا المعنى من خلال الصورة المجازية (أزفّ للنار ما لا يشتهي اللهب)، حيث تقوم الصورة على انزياح دلالي قائم على المفارقة، إذ تُسند الرغبة إلى اللهب، ويُنفى عنه ما لا يشتهيه، بما يجعل الاحتراق نفسه فعلاً عبثيًا. وبهذا لا تُحرق المكاتيب بوصفها أوراقًا، بل بوصفها خطابًا فقد جدواه، الأمر الذي يحوّل القطيعة من فعل انفعالي إلى موقفٍ واعٍ يعلن نهاية كل أشكال التواصل، حتى الرمزية منها، فمن خلال هذا الانزياح يتحقق خرقُ نمط العلاقات الطبيعية، ويعدل الشاعر عن قانون اللغة العادية، ليُحولها إلى لغة شعرية إبداعية مكثفة.

إن هذا الانزياح المتقن هو جوهر العمل الشعري، فمن خلاله يكسر الشاعر قوالب العلاقات الإنسانية المتوقعة، ويتجاوز قوانين اللغة النثرية العادية، ليصهرها في لغة شعرية خلاقة ومكثفة. وهذا بالضبط ما أشار إليه الناقد جان كوهين حين اعتبر أن "الشعر انزياح عن معيار وقانون اللغة، فهو كل صورة تخرق قاعدة من قواعد اللغة أو مبدأ من مبادئها"[7]. فالشعر لا يستخدم الصور لتزيين المعنى أو زخرفته، بل يوظفها كأداة لإنتاج دلالات جديدة وعميقة عبر تقنيات الانزياح والمفارقة، وهو ما يتجلى في المفارقة الحادة التي أقامها النص بين هشاشة المكاتيب الورقية وشهوة ألسنة اللهب. ثم قال:

أكادُ أُغْضِي حياءً حين أبْصِرُهَا

فليس يسْتُرُ عُرْيَ الأحرفِ الكَذِبُ.

فهنا يختم الشاعر المقطع الأول من القصيدة بالكشف عن العلة الجوهرية التي دعته لاتخاذ موقفه الذي عبر عنه في الأبيات السابقة ألا وهو (الكذب). ويؤدي فعل المقاربة (أكاد) وظيفة أسلوبية توحي بأن فعل «إغضاء الطرف حياءً» هو نتيجة صراع داخلي

ومعاناة، وليس مجرد رد فعل بسيط. إنه حياءٌ ناجم عن إبصار الحقيقة عارية، حياء من هول الزيف الذي تلطخت به الكلمات. ثم يصل هذا الكشف إلى ذروته في الشطر الثاني: (فليس يسْتُرُ عُرْيَ الأحرفِ الكَذِبُ). فهنا يبني الشاعر هذه الصورة البيانية على مفارقة دلالية عميقة، حيث يُسقط الشاعر ثنائية (العري/الستر) المادية على عالم اللغة والخطاب؛ ففي هذه الصورة، يُجرَّد "الكذب" من وظيفته الأساسية وهي الإخفاء والتغطية، فيصبح عاجزاً عن ستر "عري الأحرف". والأحرف هنا ليست مجرد رموز لغوية، بل هي كيانات كُشِف زيفها وتعرّت من أي صدق كانت تدّعيه.

وبهذا البيت، تكتمل البنية الدلالية للجانب الأول من النص. فالغياب لم يعد مجرد انفصال مكاني أو قطيعة عاطفية، بل تحوّل إلى وعيٍ وكشفٍ، وموقف أخلاقي يفضح زيف الخطاب. وتترسخ بذلك الجدلية الأساسية للنص، التي تؤكد أن علاقة الحضور والغياب ليست علاقة وجدانية أو مادية فحسب، بل هي في جوهرها علاقة قيمية، يحكمها معيار الصدق المطلق، لا القرب المكاني أو الحضور الجسدي.

كما يتجلى في هذا البيت (اقتصاد لغوي) مكثف يعزز من شعرية النص؛ إذ يتسق هذا الاختزال مع فلسفات الحداثة التي ترى أنَّ "الشعرية الحديثة لا تكمن في كثرة القول، بل في القدرة على جعل الصمت دالاً؛ إن الكلمة الشعرية تكتسب قوتها من بياض المسافات التي تتركها وراءها، ومن هنا يصبح الاقتصاد في اللغة هو قمة الامتلاء الدلالي"[8].

ثم في البيت التالي يبدأ الشاعر في تشكيل الجانب الآخر لهذه الجدلية؛ إذ ينتقل -بحسن تخلّصٍ- من الخاص إلى العام، ومن الذاتي إلى الإنساني، ليكشف عن الغاية الأسمى التي تأسس عليها النص بأكمله. فبعد أن فكك العلاقة الفردية القائمة على الزيف، يلتفت الآن ليعبر عما هو مفقود قائلاً:

شيءٌ من النُّبْلِ

كم نَحتاجُ في زَمَنٍ

لا ينقضي أَبداً من زَيْفِهِ العجبُ.

فانتقل بذلك الشاعر من تفكيك علاقة شخصية مع مخاطب غائب إلى تشخيص أزمة

قيمية شاملة. فالأمر لم يعد يتعلق بشخص واحد، بل بخطاب إنساني عام، ثم إن التنكير في كلمة (شيء) هنا ليس اعتباطياً، بل هو أداة دلالية بالغة الدقة، توحي بضآلة المطلوب وشحّ المتحقق، ونفاسة المفقود؛ فالشاعر لا يطالب بالنبل المطلق أو بالمدينة الفاضلة، بل بمجرد (شيء) منه، إي بحد أدنى من القيمة الأخلاقية التي أصبحت عملة نادرة. ثم تتعزز هذه الشمولية وتكتسب بعدها الجمعي من خلال الانتقال إلى ضمير المتكلمين (نحن) في الفعل (نحتاج). فبهذا الفعل وما يتضمن من دلالة الحال، يتجاوز الشاعر ذاته الفردية ليتحدث باسم وعي جمعي. وهذا الاحتياج الجمعي يُوضع في مقابل الإطلاق والشمول اللذين اكتسبتهما النكرة (زمن) زمنٌ استغرق في الزيف حتى أصبح هذا الزيف صفته الملازمة التي (لا تنقضي أبداً).

وبهذا التحول، لا يعود "النبل" مجرد غاية شعرية مجردة أو حلم، بل يُقدَّم بوصفه ضرورة وجودية ومخرجاً أخلاقياً ملحّاً من واقع امتلأ بالزيف حتى التخمة. وفي هذا البيت تصل القصيدة إلى ذروتها الفلسفية، حيث تتحول من شكوى عاطفية فردية إلى صرخة تعبر عن حاجة قيمية للجماعة، وتكتمل بذلك جدلية الحضور والغياب في بعدها الأخلاقي الأوسع، حيث الغياب الحقيقي ليس غياب الأشخاص، بل غياب "النبل" والصدق عن عالمنا. وبعد أن شخص الشاعر الداء، وهو غياب "النبل"، يسترسل في وصف الدواء، كاشفاً عن الأمل المتبقي الذي يرتكز عليه فيقول:

شيءٌ يُعيدُ لنا

ما ضاع يحْمِلنا

في راحتَيْهِ

فَيدْنو للعُلَى سببُ.

فهنا يكشف الشاعر عما تبقى من أملٍ، وتبدأ رحلة البحث عن قيمة ضائعة هي أساس العلاقة السليمة وهي: (قيمة النبل)، فالحضور والغياب (الماديين) يصبحان مترادفين في غيابها، فالشاعر صور القيمة (النبل) بأنه قوة احتواء وحمل، لا مجرد معنى تجريدي،

ففي حضور «النبل»، حتى الغياب يمكن أن يكون مثمراً؛ لأن النبل هو (السبب) الذي يجعل العلو والرفعة أمراً ممكناً (فيدنو للعلا)، وهو الشرط الذي بدونه تظل كل العلاقات الإنسانية هابطة وبلا أفق، وبهذا التصوير، يتجاوز الأمل معناه العاطفي الضيق ليصبح أفقاً أخلاقياً ووجودياً. وهكذا تتنامى الدلالة القيمية لـ (النبل) عبر النص شيئاً فشيئاً لتصل إلى ذروتها في البيت الأخير من النص حيث يقول فيه:

أطل غيابك

لا ذِكْرَى تَحِنّ لها

ما حَنَّ يوماً إلى أوْراقِهِ العِنَبُ.

إن فعل الأمر في (أطِلْ غيابَكَ) ليس سوى إعلان صارم لعدم الاكتراث، وإقرار بأن الغياب قد أصبح هو الحالة الطبيعية المقبولة. ثم يأتي الشطر الثاني من البيت (لا ذِكْرَى تَحِنُّ لها ما حَنَّ يوماً إلى أوْراقِهِ العِنَبُ) ليكون بمثابة الإعلان النهائي عن انعدام مبررات هذه العلاقة. فهنا، لا يكتفي الشاعر بنفي الحنين، بل يقتلع جذوره من خلال تشبيه بليغ. فكما أن العنب لا يحنّ إلى أوراقه اليابسة التي تساقطت في خريفها لأنها فقدت وظيفتها الحيوية، كذلك الذات الشاعرة لم تعد ترى فيما آلت إليه تلك العلاقة أي قيمة تستحق الحنين.

ومن خلال ربط هذا البيت الأخير في القصيدة بعتبتها ومطلعها، تتجلى لنا عبقرية الإحكام البنيوي في إطار دائري مركزه "أطل غيابك"، وهذا التناظر القائم على تكرار ذات التركيب، يفضي إلى الانتقال من 'تفسير الغياب' إلى 'فلسفة الاستغناء'؛ ففي حين أعلن البيت الأول موت الوظيفة الجمالية للكائن برده إلى أصله المادي (الناي/القصب)، جاء البيت الأخير ليُحكم إغلاق الدائرة الوجودية بإعلان موت الحنين عند ذروة استوائه المادي(العنب/الأوراق) ولذلك يرى الباحث أن هذا التناص العضوي لا يكتفي بتجريد الكائن من حمولته العاطفية، بل يؤسس لمرجعية الحقيقة المستمدة من جوهر الحياة، حيث يتحول النبل من مجرد قيمة أخلاقية إلى ضياء بديل يتطلب تطهيراً كاملاً للذاكرة من

علائق الماضي الزائف، وتتحول القصيدة في نهايتها من تجربة فقدٍ ذاتية إلى حالة نضج واكتفاء، ويغدو فيها الغياب اكتمالاً لا نقصاً، والقطيعة نضجاً لا جحوداً.

إن بنية النص الدلالية تكشف أن جدلية الحضور والغياب في القصيدة لا تقوم بوصفها ثنائية تضاد ساكنة، بل تُبنى باعتبارها آلية بنائية دينامية، يُعاد من خلالها تعريف كل قطب دلالي في ضوء نقيضه. فالحضور لا يكتسب معناه إلا عبر مساءلة شروطه القيمية، والغياب لا يُفهم بوصفه فقدًا، بل بوصفه أداة كشف دلالي تُفكك أوهام العلاقة وتعيد ترتيب المعنى داخل النسيج النصي. وبذلك، يتحول الغياب من مفهوم وجداني تقليدي إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، وموجّه لمسار الخطاب الشعري ومتحكم في منطقه الداخلي.

المبحث الثاني: حضور الأنا في ظل الغياب:

في هذا المبحث نمعن النظر في ثنائية الحضور والغياب من زاوية مغايرة؛ إذ لا يُقارب الغياب بوصفه حالة فقد، بل باعتباره شرطًا لظهور الأنا والذات الشاعرة. فالقصيدة لا تكتفي بتفكيك علاقة الغياب بالآخر، وإنما تكشف عن تحوّل الغياب إلى مجال تتبلور فيه الذات وتُعيد تعريف موقعها داخل الخطاب الشعري؛ إذ في هذه القصيدة، لا يكتفي المزوغي بوصف الغياب كتجربة خارجية طبيعية، بل يجعل من غياب الآخر فسحة ومجالاً أرحب لحضور الذات، أي أن الشاعر جعل من الغياب منطلقاً لإعادة اكتشاف «الأنا» الشاعرة التي أصبحت في مواجهة مباشرة مع مشاعرها، حيث يتجلى حضور الذات الشاعرة في ظل الغياب في مثل قوله:

فَاطْوِ المكاتيبَ

لا وقتٌ لَدَيَّ لكي

أزفَّ للنار

ما لا يشتهي اللهبُ.

هذا البيت -في حقيقته- يمثل لحظة انعطاف أسلوبية ونفسية في بنية القصيدة. حيث يُشكّل هذا البيت لحظة حاسمة، انتقل فيها الشاعر من حالة التقرير والتسليم الظاهري

التي هيمنت على الأبيات الثلاثة التي سبقته إلى موقف الفعل والممارسة. فبينما كانت الأبيات السابقة (لا لوم، لا عتب، ما كنت، لستُ. هل شاغل الناس..) ترسم ملامح واقع قائم وتتعامل معه بنبرة عقلانية شبه حيادية، يأتي فعل الأمر القاطع «فأطْوِ» ليكسر هذا الحياد تماماً. إنه ليس أمراً موجهاً للآخر، بل هو قرار داخلي صارم تتخذه الذات الشاعرة، معلنةً انتقالها من موقع المتلقي السلبي للغياب إلى موقع الفاعل الذي يُنتج القطيعة ويمارسها بوعيٍ تام.

فدلالياً، يتم تفكيك رمزية (المكاتيب) بشكل جذري. فهذه المكاتيب التي كانت في أصلها رمزاً للتواصل وأثراً لحضور مؤجل، تنزاح عن دلالتها لتصبح وقود ذاك الغياب، بما يتضمنه معنى كثرتها الدال على طول فترة الغياب، لأن كثرة المكاتيب تدل على طول الغياب. لكن الانزياح الأعمق والأكثر عدولاً وبلاغة يكمن في الصورة: (ما لا يشتهي اللهبُ). هنا، تصل العلاقة إلى درجٍ من العدمية المطلقة؛ فالنار، وهي أقصى صور الفناء والالتهام، تأنف من هذه الكلمات وتزدريهَا، رافضةً حتى أن تكون أداةً تستعر بها. وبهذا، تُفرَغ المكاتيب من أي قيمة ممكنة، لتصبح هي والعدم سواء.

أما جملة (لا وقتٌ لَدَيَّ)، فهي تتجاوز معناها الحرفي المباشر. إنها ليست مجرد إشارة إلى ضيق الوقت، بل هي إعلان سيادي عن استعادة الذات لكامل زمنها الخاص الثمين، فلم يعد زمن الشاعر مُستباحاً بانتظار الآخر أو التفكير فيه، بل أصبح ملكية خاصة وأثمن من أن يهدر على ما لا قيمة له، زمنٌ موجهٌ بالكامل نحو الذات وتجربتها الجديدة، بعيداً عن ذلك الماضي الذي لم يعد يستحق حتى لحظة من وقتها.

لذا فإن الشاعر في هذا البيت، لم يصف الواقع فحسب، بل أعاد تشكيله بقرار شعري واعٍ. حيث حوَّل الغياب من حالة مفروضة إلى ممارسة إرادية، وتتحول الذات الشاعرة من ضحية للغياب إلى مركز للفعل، معلنةً بذلك استقلالها القيمي والوجودي الكامل. ثم يمعن الشاعر في ازدراء قيمة تلك المكاتيب قائلاً:

أكادُ أُغْضِي حياءً حين أبْصِرُهَا

فليس يسْتُرُ

عُرْيَ الأحرفِ الكَذِبُ.

هذا البيت يمثل الإعلان عن حضور «الأنا» الواعية التي تميز بين الحقيقة والكذب، فبعد أن جرَّد الشاعر تلك المكاتيب من أي قيمة، ارتقى إلى مستوى الحكم القيمي. فاستخدام فعل المقاربة (أكاد) يشي بصراع داخلي؛ فالشاعر لا يغض طرفه حياءً خجلاً من فعل ارتكبه، بل هو حياء القاضي الذي يبصر الحقيقة عارية ومبتذلة أمامه. إنه رد فعل ذاتي واعٍ على بشاعة الزيف، ويتجلى هذا الوعي بالحقيقة في ذروته من خلال الصورة المجازية (فليس يستر عري الأحرف الكذب). فهذه الصورة البليغة تكشف عن رؤية ثاقبة؛ فالأحرف، التي من المفترض أن تكون وعاءً للمعنى، تظهر هنا «عارية» تماماً من الصدق. والكذب، الذي وظيفته الستر والتغطية، يصبح عاجزاً عن أداء مهمته أمام هذا العري الفاضح. ثم يأتي الشاعر على البيت الذي يكاد يختزل معنى القصيدة حيث يقول:

شيءٌ من النُّبْلِ

كم نَحتاجُ في زَمَنٍ

لا ينقضي أَبداً

من زَيْفِهِ العجيبُ.

إن استعمال الشاعر النكرة (شيء) مع (من) التبعيض يعكس شدة الندرة والحاجة الماسة إلى مقدار يسير من قيمة (النبل)، هذا المقدار يمثل أمل الشاعر ومبتغاه. وبهذا المعنى، تتحول الصياغة اللغوية إلى مؤشر دلالي على عمق الأزمة، لا إلى مجرد تعبير انفعالي عنها. كما يترتب على هذا التحول أن يُعاد توجيه فعل التلقي ذاته؛ إذ يُخرج الشاعر القارئ من موقع المتابع لتجربة ذاتية، ويدخله في أفق مساءلة أوسع تتعلق بمعنى الحضور الإنساني في زمن فقدت فيه القيم قدرتها على الفعل. وبذلك يغدو هذا البيت نقطة انعطاف داخل بنية القصيدة، تنتقل عندها ثيمة الغياب من مستوى المعاناة الفردية إلى مستوى التفكير القيمي، والوعي الجمعي، وتُمهِّد لما ستكشف عنه الأبيات اللاحقة من إعادة بناء لمعنى

الحضور بوصفه حضورًا للنبل لا للقرب المادي؛ ولذا بدأ الشاعر بوصف تلك القيمة وتجسيدها في الأبيات التالية، قائلاً:

شيءٌ يُعيدُ لنا

ما ضاع يحْمِلنا

في راحتَيْهِ

فَيدْنو للعُلَى سببُ.

فالنبل: (قوة) يمكنها أن تعيد ماضٍ تليدٍ أي أنه ليس مجرد صفة، بل فاعل يُعيد التوازن والقيم المفقودة، ويقرب الإنسان من القيم العليا والمعاني السامية، (شيءٌ يُعيدُ لنا ما ضاع). فإسناد فعل الإعادة إلى (النبل) يخرجه من كونه صفة أخلاقية ساكنة إلى قوة فاعلة قادرة على استرجاع ما فُقد من توازن قيمي. ومما يعمق هذا المعنى الصورة الاستعارية (يحملنا في راحتيه)، حيث تُشخَّص القيمة المجردة في هيئة كائن يحن ويعطف على الإنسان، بما يوحي بالآمان والرعاية والاتكاء، في مقابل قسوة الزمن الزائف الذي سبق وصفه. وهنا يتحول النبل إلى وسيط وجودي، لا يكتفي بردّ الماضي، بل يقود الذات نحو أفق أعلى، كما في قوله (فيدنو للعُلى سبب)، حيث يُعاد تعريف الارتقاء لا بوصفه صعودًا فرديًا، بل نتيجةً لاستعادة القيم المؤسسة للحضور الإنساني. وبذلك لا يُقدَّم الشاعر النبل في هذه الأبيات بوصفه حنينًا إلى ماضٍ منقضٍ، بل بوصفه شرطًا لإمكانية الحضور ذاته، ما ينسجم مع المسار العام للقصيدة في إعادة ترتيب العلاقة بين الغياب والحضور على أساس قيمي لا عاطفي. ثم يستمر الشاعر في بناء مفهوم النبل بوصفه شرطًا للبقاء ومقاومًا للفناء، من خلال صورة بالغة الكثافة الدلالية يقول فيها الشاعر:

يحكي وصيةَ مقتولٍ بقاتله

كُرمى لغصنٍ

من الزيتونِ يرتقبُ.

إن هذه الصورة لا تنهض على ثنائية الموت والحياة بمعناها المباشر، بل على مفارقة أخلاقية مركبة، تُسند فيها الوصية — وهي فعل استمرار وبقاء — إلى ذاتٍ مقتولة، وتُوجَّه في الآن نفسه إلى القاتل، بما ينقل العلاقة من مستوى الفعل العنيف إلى مستوى الاختبار القيمي. فالمقتول، وقد فقد شرط الوجود المادي، لا يترك خلفه سوى الوصية بوصفها أثرًا أخلاقيًا، يُقاس به معنى العلاقة بعد فنائها.

وتؤدي الوصية هنا وظيفة دلالية تتجاوز السرد أو الحكاية، إذ تمثل ما تبقى من العلاقة بعد انقطاعها، أي الأثر القيمي القابل للاستمرار رغم الموت أو القطيعة. ويتعزز هذا المعنى باستدعاء (غصن الزيتون)، بما يتضمنه من حمولة رمزية مرتبطة بالسلام والصفح والاستمرارية، غير أن هذا السلام يظل معلقًا ومؤجَّلًا (يرتقب)، لا يتحقق إلا باستعادة النبل. وبذلك لا يُقدَّم الموت في هذا السياق بوصفه فناء ونهايةً قاطعة، بل لحظة كاشفة تُختبر فيها قدرة القيم على النجاة من الفناء. فالغياب، وإن أنهى العلاقة على مستوى الحضور، لا يلغي إمكانية بقاء أثرها الأخلاقي، ما دامت الوصية قادرة على مقاومة العدم. وبهذا تتكثف في هذه الصورة إحدى الرؤى المركزية للقصيدة، وهي أن البقاء الحقيقي لا يتحقق باستمرار العلاقة، بل باستمرار القيمة التي قامت عليها. ثم ويتجلى النبل في البيت التالي بوصفه أساسًا للتواضع، من خلال صورة مركّبة تنهض على مفارقة تجمع بين البعد البصري والبعد الأخلاقي، يقول فيها الشاعر:

شيءٌ كأَعمى

رأَى الإنسانَ حيثُ مَشى

فخَفِفِ الوَطْءَ

أمُّ ذا الثَرَى وأَبُ.

فعلاوةً على أن أو ما يستحضره المتلقي غالباً هو تناص البيت مع قول -رهين المحبسين، أعمى المعرة- أبي العلاء المشهور:

خفّفِ الوطْءَ ما أَظُنّ أَدِيمَ الأَرْضِ إلاّ مِنْ هَذِهِ الأَجْسَادِ[9] فالمعري يلفت انتباهنا إلى

ضرورة أن نتذكر دائماً مآلنا الحتمي إلى التراب الذي آل إليه السابقون من الآباء والأجداد، بنزعة تشاؤمية. لكن المزوغي عبر بطريقته عن هذه الفكرة بنزعة أكثر تفاؤلاً؛ ففي صدر البيت صورة تقوم على مفارقة دلالية لافتة، إذ يُسنَد فعل الرؤية إلى من فقد حاسة البصر(أعمى)، لينقل الإدراك من مستوى البصر الحسي إلى مستوى البصيرة الأخلاقية. فالرؤية هنا ليست رؤية الأجساد أو الملامح، بل رؤية (الإنسان) بوصفه قيمة، وهو ما يؤسس لفكرة أن النبل هو القدرة على إدراك جوهر الإنسان لا مظهره؛ لذلك دل صدر البيت على أن البصيرة أقوى من البصر وأنفذ، ثم أكد على قيمة أخلاقية أخرى هي نتيجة حتمية لتحلى الإنسان بالنبل، وهي قيمة التواضع، وهنا تتحقق شعرية التناص مع المعري في إعادة إنتاج قيمة التواضع كضرورة أخلاقية لاستعادة الحضور، ويذكر الغائب بأنه من تراب، وهذا يتماشى مع ما جاء في الأبيات السابقة وينسجم مع دلالاتها، فالكِبْر والنبل لا يلتقيان، فهما كالحضور ونقيضه الغياب. ثم في البيت التالي يتجلى النبل بوصفه أساس الرحمة والتراحم، من خلال صورة تقوم على مفارقة وجدانية حادة تعيد توزيع مواقع الانفعال الإنساني:

شيء كما قد بكَى

مَن ليسَ يعرفُهُ

يوماً غريبٌ

وذو القربَى به طَرِبه.

فهنا لا تكتفي هذه الصورة باستحضار مشهد الفجيعة، بل تنفذ إلى مساءلة معيار العلاقة ذاته؛ إذ تُسنَد الرحمة والبكاء إلى (الغريب) الذي لا تجمعه بالمفقود صلة معرفة أو نسب، في حين يُنزَع الحزن عن (ذي القربى)، الذي يُفترض فيه – عرفًا – أن يكون الأشد تأثرًا. وبهذا الانقلاب الدلالي، تُفكَّك القرابة بوصفها أساسًا تلقائيًا للعاطفة، ويُعاد بناء العلاقة الإنسانية على أساس قيمي لا بيولوجي؛ ولذلك فإن هذا التوزيع غير المألوف للمشاعر يكشف أن معيار القرب والبعد في القصيدة ليس صلة الدم، بل مقدار النبل

الكامن في الذات. فالرحمة هنا لا تُقدَّم بوصفها استجابة عاطفية عابرة، بل بوصفها ثمرة أخلاقية لا تتولد إلا عن صفاء السريرة وصدق الشعور. وفي هذا السياق، يتقاطع النص مع معنى مأثور في الذاكرة الشعرية العربية، وهو البيتٍ المشهور:

يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفهُ، وذو قرابته في الحي مسرور (10)

غير أن المزوغي لا يستحضره بوصفه حكمة تقريرية جاهزة، بل يعيد تشكيله داخل بنية رمزية تجعل من الرحمة مظهرًا من مظاهر النبل، لا أثرًا للقرابة وحدها، فتتكامل الرحمة مع التواضع، والسلام، والصدق بوصفها تجليات مختلفة لقيمة مركزية واحدة، ليؤكد إن أساس العلاقات الإنسانية يقوم على نبل الإنسان ونقاء سريرته، وسمو أخلاقه. ويواصل الشاعر ترسيخ مركزية النبل بوصفه مصدر الحياة الداخلية وشرط الاستمرار والبقاء، حيث قال:

تضيء بالنبْل لا بالشمس أنفسُنا

والنبل يَرْوِي

كُرومَ الروحِ لا السُّحُبُ.

تقوم الصورة هنا على تقابل بنيوي واضح بين مصدرين متعارضين للحياة: مصادر خارجية مادية (الشمس، السحب) تحيل إلى شروط البقاء الفيزيائي، ومصدر داخلي قيمي (النبل) يُقدَّم بوصفه شرط الوجود الإنساني الحق. وبهذا الانزياح الدلالي، يُنزَع الضوء والماء – وهما أساسا الحياة في معناها الطبيعي – من مجالهما الفيزيائي، ليُعاد إسنادهما إلى قيمة أخلاقية، تُمنَح وظيفة الحياة والنماء. فيتحول النبل في هذا السياق من قيمة مجردة، إلى طاقة حيوية فاعلة، تُضيء وتروي، كما تؤكد الاستعارة في (كروم الروح)، حيث تُصوَّر الروح بوصفها أرضًا قابلة للزراعة، والريّ هنا ليس فعلاً مادّيًا، بل عملية قيميّة تحفظ للذات توازنها ومعناها في مواجهة الفقد. أما ضمير الجمع في (أنفسُنا)، فعلى الرغم مما يحمله من إيحاء بالجماعية، فإنه لا يخرج عن كونه تعميمًا لتجربة الأنا الشاعرة، التي لا تتحدث عن ذاتها بوصفها حالة فردية معزولة، بل بوصفها أنموذجًا إنسانيًا قابلاً للتعميم. وبهذا يتحول الصوت الذاتي إلى صوت كاشف عن شرط إنساني عام، مفاده أن الحياة لا تُقاس بمجرد

الاستمرار الجسدي، بل بقدرة القيم – وفي مقدمتها النبل – على إضاءة الروح وإبقائها حيةً. وعليه، لا يُطرح النبل في هذا البيت بصفته تعويضًا مؤقتًا عن حضور مفقود، بل بوصفه معيارًا وجوديًا: فإذا خمدت القيمة، انطفأت الروح، حتى وإن ظل الجسد قائمًا يسعى ويتنفس.

إن الانزياح الأسلوبي في القصيدة لم يؤد وظيفة جمالية فحسب، بل يرتبط ارتباطًا مباشرًا باختلال المعايير القيمية التي يحاكمها الخطاب الشعري. فخرق الإسناد المألوف وتشخيص المفاهيم المجردة لا يعكسان نزوعًا لغويًا تجريبيًا، بل يُجسّدان رؤية أخلاقية ترى أن اللغة التداولية فقدت قدرتها على تمثيل الصدق، وأن إعادة تشكيل البنية اللغوية تصبح ضرورة تعبيرية لمساءلة القيم الزائفة. وبهذا، تتشكل القطيعة بوصفها فعلًا قيميًا واعيًا، تضبط فيه الذات انفعالها عبر اللغة، إعادة تعريف شروطها الأخلاقية

■ الخاتمة

تُفضي هذه المقاربة النقدية إلى أن قصيدة «أطل غيابك» لا تُقارب الغياب بوصفه حالة فقد أو تجربة وجدانية معزولة، بل تعيد بناءه داخل البنية الشعرية كآلية دلالية فاعلة تسهم في مساءلة منظومة القيم التي تحكم العلاقات الإنسانية. فالغياب في النص لا يظهر باعتباره فراغًا أو انسحابًا، وإنما يُستثمر بوصفه أداة كشف معرفي تُعرّي هشاشة الحضور حين ينفصل عن شروطه الأخلاقية، وتُعيد توجيه الخطاب الشعري من مستوى التعبير الانفعالي إلى مستوى التفكير القيمي.

ويُظهر التحليل أن الشاعر ينتقل بالقصيدة من أفق العتاب الفردي إلى أفق إنساني أوسع، تُطرح فيه أسئلة تتصل بمعنى الحضور، وحدود الصدق، وجدوى التواصل حيث لا تعمل اللغة بوصفها أداة توصيف أو محاكاة للواقع، بل بوصفها بنية تفكيكية تُعيد صياغة المفاهيم المألوفة للحضور والغياب، وتكشف ما ينطوي عليه الخطاب الاجتماعي من ازدواجية وزيف، كما أن المفارقات التصويرية لم تُوظَّف لمجرد الإدهاش الجمالي، بل لتفكيك سلم القيم وإعادة بنائه على أساس الصدق والمسؤولية الإنسانية، وهو ما يحوّل فعل القراءة إلى ممارسة تأويلية واعية، تتجاوز فهم النص إلى مساءلة شروط الحضور القيمي في التجربة

الإنسانية ذاتها. وبذلك، تؤكد قصيدة «أطل غيابك» موقعها بوصفها نصًا شعريًا ينتمي إلى أفق شعري حداثي يراهن على استعادة دور الشعر كخطاب معرفي وأخلاقي، لا يكتفي بتجسيد التجربة، بل يسهم في تفكيكها وإعادة تأملها ضمن رؤية لغوية ودلالية منفتحة.

■ نتائج الدراسة

استناداً إلى مسارات التحليل السابقة، تخلص الدراسة إلى أنَّ الخصوصية الإبداعية لهذا النص لا تكمن في مجرد استدعاء الرمز أو توظيف الانزياح كأدوات جمالية مجردة، بقدر ما تكمن في قدرة الشاعر على صهر تلك الأدوات لإنتاج فضاء شعري يتحوّل فيه (الغياب) من ثيمة ساكنة إلى آلية فاعلة في بناء الوعي بالذات، وانتقل (الصمت) ومبدأ (الاقتصاد اللغوي/ الترفع عن الرد) من حالة الفراغ الدلالي إلى حالة نضج وامتلاء قيمي؛ الأمر الذي منح القصيدة أصالتها في إعادة صياغة العلاقة بين الأداء الأسلوبي والمنزع الأخلاقي. وبناءً عليه، يمكن إجمال أبرز النتائج التفصيلية في النقاط الآتية:

1. تكشف الدراسة أن الغياب في قصيدة «أطل غيابك» لا يُبنى بوصفه حالة فقد أو نقص، بل يُعاد تشكيله داخل البنية الشعرية كقيمة دلالية فاعلة، تعمل ضمن نسق قيمي يُعاد فيه تعريف الحضور بوصفه حضورًا مشروطًا بالأخلاق، لا مجرد تحقق مادي أو عاطفي. وبذلك تنتقل جدلية (الحضور/الغياب) من بعدها الوجداني إلى أفق قيمي ومعرفي.

2. إن آليات الانزياح الدلالي تمثّل المدخل الأساس في بناء هذه الجدلية، إذ يقوم الشاعر بتفكيك العلاقات المألوفة بين الألفاظ ودلالاتها، وإعادة توجيه مفاهيم مثل العتاب والانتظار والتواصل من وظائفها التعبيرية التقليدية إلى وظائف مساءلة أخلاقية داخل الخطاب الشعري.

3. إن البناء الرمزي في القصيدة يؤدي وظيفة بنيوية في تنظيم المعنى، ولا يقتصر على الإحالة أو الزخرفة، حيث تسهم الرموز في ترسيخ رؤية نقدية للعلاقة الإنسانية، تكشف انكسار المرجعية الأخلاقية للغة حين تنفصل عن قيم الصدق والمسؤولية.

4. إن الذات الشاعرة لا تُقدَّم بوصفها ذاتًا منفعلة إزاء الغياب، بل ذاتًا واعية تعيد تنظيم تجربتها عبر ضبط اللغة والانفعال معًا، بما يجعل القطيعة فعلًا قيميًا نابعًا من وعي أخلاقي، لا استجابة نفسية طارئة، وهو ما يُفسَّر في ضوء البنية الأسلوبية للنص لا خارجها.

5. إن قصيدة "أطل غيابك" تقدّم نموذجًا شعريًا مغايرًا في تمثيل الغياب، لا على مستوى الثيمة وحدها، بل على مستوى المعالجة الأسلوبية، من خلال تحويل الصمت، والاقتصاد اللغوي، وغياب العتاب إلى آليات دلالية منتجة، تفتح أفقًا تأويليًا يتجاوز حدود التجربة الفردية مما يمنح النص وحدة عضوية وقيمية متماسكة.

■ **توصيات الدراسة**

توصي الدراسة بما يلي:

1. تدعو هذه الدراسة الباحثين والنقاد إلى توسيع مجال البحث في شعر المزوغي ليتجاوز التحليلات المقتصرة على نصوص فردية، إلى الانتقال إلى مقاربات نقدية أكثر شمولية تتناول أعمال الشاعر الكاملة.

2. ويقترح الباحث إجراء دراسات أسلوبية مقارنة تضع شعر المزوغي في حوار مع تجارب شعرية عربية أخرى عالجت ثيمات مماثلة (كالحضور والغياب/ الموت والحياة/ والحب والكره).

■ **المصادر والمراجع**:

1 . محمد المزوغي، ديوان لا وقت للكره، (ط1، طرابلس، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، 2017م): 68

2 . محمد، علاء الدين الأسطى. "حداثة القصيدة العمودية في شعر محمد المزوغي." المجلة الليبية للدراسات، المجلد 7، العدد 13 (ديسمبر 2017): 13–24.

3 . الخازمي، محمد الصادق. "تشخيص الحب في ديوان لا وقت للكره." مجلة الجامعي، العدد 28 (2017): 30–51.

4 . الفنادي، يونس. "القيم الإنسانية والأبعاد الوطنية في ديوان لا وقت للكره." مجلة الفصول الأربعة، العدد 23، (2019): 40-60.

5 . قزيمة، فاطمة الطيب. "التصوف العرفاني في قصيدة 'ألق القميص' للشاعر الليبي محمد المزوغي." مجلة الآداب، جامعة الزاوية، المجلد 23، العدد 40 (2023): 29-50

6 . دي بوجراند. روبرت. "النص والخطاب والإجراء". ترجمة: تمام حسان. (ط1. القاهرة، عالم الكتب، 1998م). 105

7 . كوهين، جان. "بنية اللغة الشعرية". ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، (ط.1، دار توبقال للنشر، 1986م): 31

8 . أدونيس، علي سعيد، زمن الشعر، ط5، دار الفكر، بيروت، 1986، ص 17

9 . أبو العلاء المعري، سقط الزند وضوءه، تحقيق وتقديم الدكتور السعيد السيد عبادة (ط1، القاهرة: معهد المخطوطات العربية، 1424 هـ/2003): 392

10 . ينظر: الحريري، أبو محمد القاسم، "درة الغواص" تحقيق: عبد المغني فرغلي علي القرني، (ط1، بيروت، دار الجيل، 1996م)، 250.